

## التحريف أخطر تهمة وجهت لليهود

تعني كلمة (حرّف) بتشديد عين الفعل (عدّل)، وتحريف الكلام عن مواضعه كما يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب يعني (تغييره)، والتحريف في القرآن والكلمة: يعني تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها(١)، كقوله تعالى: "يحرّفون الكلم عن مواضعه" (سورة النساء، آية ٤٦).

كانت تهمة التحريف من التهم الخطيرة التي وجهت إلى اليهود وشغلت حيزاً كبيراً في الجدل الديني الذي اشتد في العصور المتوسطة، وقد كانت أول إشارة إلى إلقاء تهمة التحريف على اليهود في قوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" على أثر الأسئلة التي لقنوها لوفد قريش كي يخرجوا بها الرسول قبل هجرته إلى المدينة (٢) ولم ينكر الرسول ما عناه بقوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" عندما سأله أحبار اليهود حين قدم إلى المدينة فقال بوضوح: "كُلاً". وعندما ذكروه بقوله: "إنّا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء". قال الرسول: "إنّها في علم الله قليل وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه" (٣). وفي هذا الموقف الواضح تحدّ لاعتقاد اليهود بشمولية وكمال التوراة، وثم بمدى تمسك اليهود بدينهم وكتبهم المقدسة.

ثم أخذت التهم تكون مباشرة من الرسول ومن الصحابة.

وبالمقابل واجه اليهود كلام الرسول والمسلمين بالسخرية والهزء والتكذيب ، ولكنهم كانوا حذرين كي لا يصل الأمر إلى ما وراء الكلام ، مثل سخريتهم من الرسول وإنكارهم لنبوته يوم مات " أبو أمامة " حيث قالوا : " لو كان نبياً لم يمّت صاحبه " (٤) وقول أحدهم يوم ضلّت ناقة الرسول : " يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقتة " (٥) . وسؤال اثنين للرسول عندما دخل بيت مدارس اليهود ليدعوهم لتقبّل الإسلام قائلين : " على أيّ دين أنت يا محمد؟ قال الرسول : على ملّة إبراهيم ودينه . فقالا له : فإنّ إبراهيم كان يهودياً " (٦) وقول آخرين للرسول : " يا محمد ، ما ولّاك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنّك على ملّة إبراهيم ودينه؟ إرجع إلى قبلتك التي كنت عليها تتبعك ونصدّقك " (٧) .

لكنّ هذا التوجّه الساخر كان أعجز من أن يزعزع إيمان الرّسول بصحة ما يوحى إليه ، بل إنّ معارضة اليهود لتعاليمه كما يقول بروكلمان : " حملته على أن يستنتج أنّهم قد ضلّوا عن طريق الإيمان الصحيح ، وأنهم قد حرّفوا الكتاب المقدس الذي اعتقد هو نفسه أنه منزل من عند الله " (٨) .

ويرى الدكتور جواد علي " أنّ خصومة اليهود للإسلام بدأت خصومة فكرية ، هم يرفضون الاعتراف بنبوّة الرسول ، وبأنّ دعوته موجهة إليهم ، ويرفضون نبوة في غير بني إسرائيل ، والرسول

يدعوهم إلى الإيمان بالله وإلى الدخول في دعوته المبنيّة على الإيمان بالله ربّ العالمين، ربّ العرب وبنّي إسرائيل والعجم، وعلى الإيمان بنبوّته ونبوّّة الأنبياء السابقين، ثم تطوّرت هذه الخصومة إلى معارك وحروب " (٩).

ويظهر ابن هشام السبب الذي دعا الرسول إلى اتهام اليهود بتحريف ما جاء في التوراة، إذ أن الرسول رفض الكثير من التفسيرات التي أسمعها اليهود لبعض النصوص التوراتية، كما أنه شك في تبديلهم لبعض النصوص، وذلك على أثر ما لاقى من معارضة وسخرية من جانبهم. وألخص أهم النقاط التي اتّهم بها اليهود في تحريفهم للكتاب المقدس فيما يلي:

١ - **الجهل**: ويقصد بذلك أن اليهود رغم أنّهم أصحاب الكتاب الأوّل، ويملكون المعرفة والعلم إلاّ أن الحقيقة الكاملة والشاملة ليست كلّها من حظّهم. وقد أشار الرسول إلى ذلك بقوله: " وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً"، وعندما ألحّ عليه الأحرار ليُفصح عمّا عناه بذلك وضحّ قائلاً: "إنّها - أي التوراة - في علم الله قليل (١٠). ويثبت ذلك في مجال الحديث عن إبراهيم الخليل وادّعاء اليهود أنّه منهم وتحديّ الرسول لهم بقوله: " فهلمّ إلى التوراة فهي بيننا وبينكم، فأبوا ذلك " (١١). وقد جاء كلام الله ليؤكّد جهل اليهود بقوله تعالى: " يا أهل الكتاب لم تحاجّون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون، ها

أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين " (١٢).

والجهل لا ينحصر في ما ليس بالكتاب وإنما أيضا لما في كتابهم المقدس ، ويفسر ابن اسحق قوله تعالى " وإن هم إلا يظنون " : بقوله : " أي لا يعلمون الكتاب ولا يدرون ما فيه " . (١٣).

## ٢ - التستر على بعض ما جاء في التوراة :

وهذه التهمة لصقت بهم على أثر محاولة حبرهم إخفاء آية الرجم عندما طلب منه الرسول أن يقرأ ما تأمر به التوراة في قضية الزنا وكيف تدخل عبد الله بن سلام وكشف ذلك . كما أن الرسول كان حاداً في اتهامهم بإخفاء الحقيقة حيث قال : لكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكنتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس . " (١٤) . كذلك ما ذكر من رفض اليهود إخبار سعد بن معاذ وآخرين عن بعض ما في التوراة ، رغبوا في الاستفسار عنه ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : " إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " (١٥).

٣ - مناصرة أهل الشرك ضد فريق من إخوانهم منافيا لما تأمر التوراة .

وقد كان اليهود في المدينة وتبعاً للأحلاف التي لهم مع قبائل

المدينة من أهل الشِّرك يجدون أنفسهم إذا ما وقعت الحرب بين القبائل العربية منقسمين على أنفسهم ، فريق يُؤيد الأوس وآخر يُؤيد الخزرج ، يُظاهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه ، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم ، وبأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم وما لهم . فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة وأخذ به بعضهم من بعض . (١٦) وقد استعظم الرسول عملهم وأشارت إليه آيات القرآن حتى أن الله تعالى يستنكر عملهم ويسأل باستنكار : " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض " . أي تُفاديه بحكم التوراة وتقتله ، وفي حكم التوراة أن لا تفعل . (١٧) .

#### ٤ - العمل على حَرَفِ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ إِيمَانِهِمْ .

وهذه التهمة وُجِّهَتْ لليهود ، حيث اتَّهموا بأنهم يعملون على إبعاد المسلمين عن الرسول والدين الجديد ، ويحرضون المسلمين على العودة إلى الشِّرك وعبادة الأوثان حتى أنهم أجابوا مَنْ سألهم رأيهم في مَنْ أفضل دين محمد أم دين قريش دين الشِّرك؟ فكان جوابهم أن دين قريش دين الشِّرك أفضل (١٨) . ويستشهد صاحب السيرة لإثبات نشر اليهود للفساد بين المسلمين وبذر بذور الشقاق والنزاع ما فعله رجل يهودي بإثارة شباب من الأوس والخزرج حتى جعلهم يتنابدون ويهددون بعضهم البعض الأمر الذي استدعى تدخل الرسول وكبار الصحابة ، وفي ذلك نزلت الآيات

القرآنية: " يأيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين . الخ " (١٩).

#### ٥ - الإيمان بالجبت والطاغوث .

والجبت عند العرب ما عبد من دون الله . والطاغوث كل ما أضلّ عن الحقّ . وقيل أيضا: الجبت تعني السّحر، والطاغوث تعني الشيطان . (٢٠) وخطورة هذه التّهمة في أن من يملك الكتاب المقدس الأوّل لا ينفذ ما تدعو إليه التوراة ويشرك في عبادته للرّب ، بل يضلّ في إيمانه إلى درجة عبادة السّحر والشيطان . وهذا الموقف لليهود كما بيّن صاحب السيرة يعود إلى رغبتهم الشديدة في رفض دين محمد والرغبة في محاربتة بمختلف الوسائل ، حتى ولو أدى بهم ذلك إلى إعلاء شأن دين الشرك على الإسلام، أو الميل إلى عبادة الشيطان وتفضيله على أتباع محمد ودينه الجديد . وقد ورد في قوله تعالى: " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوث " (٢١) .

وإبن هشام يستشهد على عاداته بالعديد من الآيات القرآنية ليؤكد صحة ما ألصق باليهود من تهمة التحريف مثل قوله تعالى: " أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " (سورة البقرة، آية ٧٥) . وقوله تعالى: " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب

يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل " (النساء ، ٤٤) " والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً " (النساء، ٤٥) " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا " (النساء، ٤٦) . وقوله بما يتعلق بحادثة الرجم " ويحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه (أي الرجم) فاحذروا " (المائدة، ٤١) .

كذلك يذكر ابن هشام ما روى عن موقف اليهود من **عزير** وهو يرى في موقفهم هذا ليس تحريفاً فقط وإنما ما يقرب من الكفر حيث يورد أن الرسول رأى في موقف اليهود من عزير نوعاً من الكفر وأيضاً يؤكد كلامه بالإستشهاد بآية قرآنية: " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون " (سورة التوبة، ٣٠) .